الفصل الثالث

أشهر التوائم السيامية في التاريخ

BIDDENDEN

أشهر التوائم السيامية
في التاريخ

تكشف مراجعة المصادر وجود تباين كبير في توثيق ظاهرة التوائم السيامية في العالم الغربي، وسنعرض هنا فقط لما نُشر في المجلات العلمية، مع تركيز اختياراتنا على ما كان له شهرة سواء في الجانب العلمي أو الجانب الاجتماعي، أو ما أثار منها جدلاً أو ارتبط بطرفة.

وثّقت بعض النقوش والرسومات الحجرية القديمة للظاهرة، فقد أظهرت اكتشافات بعض علماء الآثار في عدة دول مجموعة رسوم لتوائم سيامية بجسد واحد ورأسين في عهود ترجع إلى عدة قرون قبل الميلاد. ومن المؤكد أن تاريخ الظاهرة في العالم الغربي كان ملفتًا للنظر؛ بل ولحقت به ترهات وأوهام وخرافات أخرجت عقل الإنسان عن حكمته، وفصلت إحساسه عن فطرته، كانت النظرة إلى هذه الظاهرة الخِلْقية ـ آنذاك ـ مؤلمة في كثير من الأحيان ومتعارضة مع الجبلَّة السليمة، فقد اعتُبرت كما أشرنا في التمهيد ـ نوعًا من أنواع الجن، وأدخلها بعضهم في عالم الغرائب المتوحشة مما دفع بعضهم إلى عزل هذه الحالات ونفيها بعيدًا عن المجتمع؛ بل وجعلت منها بعض المجتمعات البدائية إفكًا آلهة تُعبد مثل غيرها من آلهة ذلك الزمان، واعتبرتها مجتمعات أخرى علامة على سوء الطالع. أما أولئك الذين تمتلئ قلوبهم بالشره والطمع ويسيل لعابهم للمال؛ فقد وظّفوا ظاهرة التوائم لإشباع طموحاتهم المالية والاجتماعية، فاستفادوا منها في تحقيق الشهرة وكسب المال عن طريق استغلال هؤلاء المساكين في عروض متنقلة أشبه بعروض السيرك، ووجد فيها فريق آخر وسيلة ناجعة وفعالة في التسول واستعطاف مجتمعاتهم..

ونورد هنا بعض الأمثلة والنماذج الشهيرة لتوائم خلَّدها التاريخ، ثم نتطرق بعد ذلك بإيجاز لبعض أنواع عملياتها الجراحية في التاريخ القديم والحديث:

أولاً: توائم شهيرة في تاريخ الغرب

• خادمتا بدندن: (١١٠٠ ـ ١١٣٤م)

ماي وأليزا تشالك هرست تُعتبران أول توأم ملتصق في التاريخ المكتوب باللغة الإنجليزية، وُلدتا بمدينة (كنت) عام ١١٠٠م، واشتهرتا بـ: خادمتي بدندن (Biddenden Maids)، وكان التصاقهما في منطقة الورك والحوض، وعندما بلغتا ٣٤ عامًا من العمر توفيت إحداهما، وفور وفاتها عرض أحد الأطباء على توأمتها الحيَّة إجراء جراحة للفصل؛ ولكنها رفضت وقالت: «متنا للحياة معًا وسنغادر معًا»، وبالفعل شاء الله أن تتوفى بعد ساعات من أختها. وبعد وفاتهما خصَّصت الكنيسة أرضًا على مساحة ٢٠ فدانًا لاستثمارها في إحياء ذكراهما، وقررت كذلك توزيع كعكة على فقراء مدينة (كنت) سنويًا في عيد الفصل تحمل نقشًا لصورتهما.. ومازال هذا الاحتفال أو التقليد مستمرًا حتى يومنا هذا.

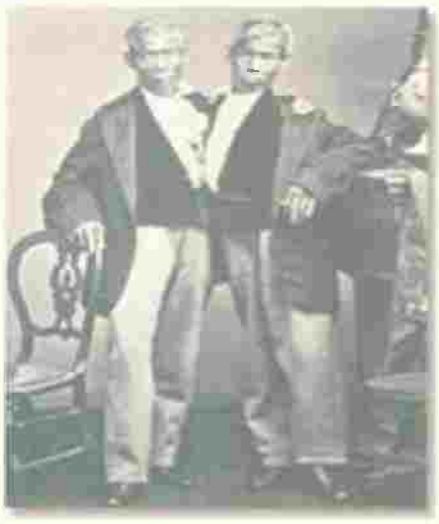

الأخوان بنكر

الأخوان بنكر في شبابهما

• **التوأم الأسكتلندي: (١٤٩٠م)**

وُلد التوأم الأسكتلندي في مدينة جلاسكو عام ١٤٩٠م، وكانا يشتركان في منطقة البطن والحوض والأطراف السفلية، ولقد عُرضا على محكمة الملك جيمس الرابع بأسكتلندا التي أصدرت حكمًا يقضي بالاهتمام بهما وتعليمهما بعناية. ولوحظ عليهما شده ذكائهما ونباهتهما وحبهما لعلم اللغات والموسيقي، وتميزًا بمهارة في العزف على أجهزة مختلفة، واشتهرا بسرعتهما في نقل الأنامل على مفاتيح الآلات، كما كانا يتحدثان عددًا من اللغات بإتقان شديد أثار دهشة معاصريهما، وإعجاب العاملين في دوائر العلوم والمعارف، وضمت قائمة هذه اللغات التي يجيدانها: الإنجليزية والإيرلندية واللاتينية والفرنسية والإيطالية والأسبانية والدنماركية.

• **التوأم السيامي بنكر: (١٨١١ ـ ١٨٧٤م)**

يُعدُّ إنج وتشانج بنكر من أشهر التوائم الملتصقة التي نقلتها لنا سجلات التاريخ قديمه وحديثه، وُلدا عام ١٨١١م في سيام (الاسم القديم لتايلاند)، وكانا ملتصقين في أسفل الصدر والبطن فقط، والتصق بهما مصطلح (التوائم السيامية) ارتباطًا بموطنهما (سيام). نُقلا عام ١٨٢٩م إلى الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة الكابتن إبل كوفن بعد أن أغرى والدتهما بمبلغ من المال، وبعد أن حظي كذلك بموافقة ملك سيام. وفي أمريكا استُغلا في عروض السيرك لجلب المال الذي تدفق على مديري لعروض بسبب إقبال الناس على رؤيتهما بدافع الفضول نظرًا لغرابة شكلهما، ولندرة الظاهرة نفسها. وما أن أكملا عدة شهور في أمريكا حتى نُقلا إلى المملكة المتحدة حيث قدما عروضًا للأسرة المالكة، وأثناء وجودهما هناك سنحت لبعض الأطباء فرصة فحصهما لمعرفة إمكانية فصلهما، إلا أن الأطباء قرروا ـ اعتمادًا على نتائج الفحص ـ استحالة ذلك. وبعد فترة حاول صاحبهما السفر بهما إلى فرنسا لتقديم عروض أخرى هناك؛ إلا أنه حُرم من ذلك على خلفية الاعتقاد السائد وقتذاك أن النساء الحوامل قد يتوحَّمن ويُنجبن توائم سيامية عند مشاهدتهما.. وفي ذلك بالطبع دلالة واضحة على انتشار الجهل في المجتمع الفرنسي في تلك الفترة.

وفي شهر أبريل من عام ١٨٤٣م ـ أي في الثانية والثلاثين من عمرهما ـ تزوج تشانج من أديليد يينس؛ بينما تزوج إنج من شقيقتها سارة آن وأنجبا ٢١ طفلاً. ومن الطريف أنهما عاشا في منزلين مختلفين بعد اتفاقهما على تقسيم أيام الأسبوع بينهما بمعدل ثلاثة أيام لكل منهما، وتركا اليوم السابع ـ وهو اليوم الأخير من الأسبوع ـ ليقضيانه سويًا خارج المنزل في تنفيذ برامجهما وقضاء حوائجهما المشتركة. وفي يوم ١٧ يناير من عام ١٨٧٤م استيقظ إنج بإحساس غريب يملأ جوانحه، فالتفت على الفور إلى أخيه تشانج فوجده ميتًا، فاستنجد بابنه وليام الذي ركض بدوره إلى الشارع باكيًا ومفجوعًا وهو يصرخ وينادي: «عمي تشانج مات».

الأخوان بنكر في شبابهما مع الأسرة

الأخوان بنكر في شبابهما مع الأسرة

حا أن عاد برفقة بعض إخوته وأبناء عمه ومجموعة من الجيران حتى عقدت الدهشة ألسنتهم، لقد فوجئوا بأن إنج لحق بتوأمه فارق الحياة أيضاً وكأنه أراد أن يقول: لنا روح واحدة، دخلنا إلى الحياة سوياً وها نحن نخرج منها سوياً.

• التوأم بلازك: (١٨٧٨ ـ ١٩٢٢م)

أما حالة التوأم السيامي بلازك فتعدُّ فريدة من نوعها؛ بل تُشكِّل أول حالة حمل لإحدى التوائم السيامية الملتصقة في التاريخ، هما روزا وأختها جوزفينا اللتان وُلدتا لأبوين من بوهيميا (جمهورية التشيك) في ٢٠ يناير من عام ١٨٧٨م، وكان التصاقهما في منطقة الحوض والورك، ولقد أثارت ولادتهما جدلاً كبيراً تسبب في أن تكونا ـ بعد أشهر قليلة ـ محور حديث الناس في بلدهما. ويُروَى أنهما بدأتا المشي في الثانية من عمرهما، والكلام في الرابعة. وعند بلوغ عمرهما ٣١ عامًا ـ بالتحديد في الشهر السابع من عام ١٩٠٩م ـ أحست روزا بعلامات حمل تبعتها بعد أسابيع قليلة نوبات وَحَم متقطعة، إلا أن أختها جوزفينا لم تظهر عليها أي علامة من هذه العلامات؛ بل استمرت دورتها الشهرية كالمعتاد حتى الأسبوع (٣٢) من حمل أختها ثم انقطعت عقب ذلك.

وبعد حمل طبيعي أنجبت روزا ابنًا عن طريق ولادة طبيعية بلغ وزنه (٣٠٧٠ جرامًا). ومن اللافت للنظر أن كليتهما كانت لديهما القدرة على الرضاعة نظرًا لانتقال هرمونات عن طريق الدم من روزا إلى جوزفينا. ومن الطرائف التي صاحبت هذا التوأم أن والد ابن روزا ظل مجهولاً إلى يومنا هذا مما أثار جدلاً كبيراً في ذلك الوقت، واتُّهم عدة أشخاص بالأبوة!

أما بالنسبة لحياة التوأم نفسه فقد كانت مليئة بالنشاط والحيوية؛ إذ اشتهرتا بالعروض وعمل السيرك في دول متعددة من العالم، وعند بلوغهما سن الرابعة والثلاثين أصيبت جوزفينا ـ أثناء جولة لهما في مدينة شيكاغو ـ بمرض حاد بالبطن نتج عنه (خراج)، ثم تدهورت صحتها إلى أن توفيت، وبعد عدة دقائق من وفاتها لحقت بها أختها روزا.

• (إنغ، تشانغ) أول توأم تمساح سيامي

فوجئ صاحب مزرعة للتماسيح في قرية بجنوب تايلاند ـ كما أوردت بعض الدوريات ـ بخروج توأم ملتصق من بيضة إحدى إناث التماسيح؛ فأصابه الذهول، ولذلك سارع إلى استدعاء مجموعة من البياطرة والمعنيين بتربية الحيوان للوقوف على هذه الظاهرة الغريبة التي تمثل مولد توأم تمساح سيامي لأول مرة في التاريخ العالمي المقروء، حار البياطرة الذين استعان بهم في هذا الأمر مثل صاحبهم، وألجمت الدهشة أفواههم، وشلَّت قدرتهم على التفكير ومحاولة التفسير العلمي؛ إذ لم يحدث أن وقفوا على مثل هذه الظاهرة في عالم الحيوان، وربما لم يسمعوا بها على الإطلاق، فلكل علم اختصاصيوه، ولكل ظاهرة مفسروها

التوأم ميلي وكريستين

التوأم راديكا و دوليكا

اعتماداً على خلفيتهم المعرفية وعلى تجاربهم وخبراتهم في هذا المجال. نقلت الصحف ووسائل الإعلام التابلدية وغيرها من الدوريات والفضائيات ـ المهتمة بالتكاثر الحيواني وبالأخبار الغريبة ـ هذا الحدث، وأفردت له مساحة واسعة في تغطياتها مطعماً بالصور، ومنها من أجرى مقابلة مع صاحب المزرعة، واستطلاعات مكتوبة ومصورة مع العاملين فيها وحراسها؛ بل ومع أهل القرية الذين توافدوا على المزرعة لرؤية هذا الحدث الفريد. وبعد أن زالت آثار الدهشة أجرى بعض الأطباء البيطريون دراسة على توأم التمساح السيامي وتوصلت فحوصاتهم إلى أن التمساحين غادرا البيضة وهما ملتصقين، ويشتركان في الذيل والبطن (الجهاز الهضمي)، بينما استقل كل منهما بقلب ورئتين وكليتين. وبالطبع فإن التمساحين كانا مصدر جذب للسائحين والزوار والمستطلعين والفضوليين والأطباء والدارسين.. ومصدر استنزاف لجيوبهم؛ بعد انسياب أموالهم إلى خزينة صاحب المزرعة بعد أن أقبلوا على زيارتها لمجرد الاستمتاع بمشهد (توأم تماسيح سيامي) الذي وجدها فرصة ذهبية للثراء، ولذلك لم يفكر على الإطلاق في إجراء جراحة لفصلهما، بل اكتفى بمناشدة المختصين لمساعدته في كيفية الحفاظ على حياتهما طويلاً.

لم يكتسب التمساحان اسمين خاصين بهما، ولم يفكر صاحب المزرعة في ذلك؛ إذ كان مهتماً بالجانبين: المالي الذي أغدقه عليه تدفق السياحة المفاجئة، ثم العلمي الذي يكمن في تفسير الظاهرة، ولعله أراد أن تكون معرفته بذلك عنصراً إضافياً في ترويج الجانب السياحي عن طريق الشرح والتعليل والتفسير للزوار والسائحين. ولأن اسمي التوأم (إنغ ، تشانغ) أشهر التوائم السيامية في التاريخ مازالا يعلقان بذاكرة مواطني القرية كجزء من تراثهم؛ فقد استعاروا اسميهما وألصقاهما بتوأم التمساح السيامي، وربما وجدوا في ذلك إحياءً لذكراهما وتعريفًا للأجيال الحديثة بهما.

ثانياً: تاريخ العمليات الجراحية لفصل التوائم السيامية:

مثلما كان تاريخ التوائم السيامية شائقًا وممتعًا؛ فقد اتسمت محاولات فصل التوائم جراحياً بالتحدي أحياناً وبالطرافة أحياناً أخرى، وسأختار للقارئ بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر:

• التوأم الألماني (١٤٩٥م)

تعدُّ هذه الحالة هي أول محاولة موثّقة بطريقة طريفة لفصل توأم سيامي كان ملتصقًا بالرأس حتى سن العاشرة. وينقل لنا تاريخ هذه الحالة أن أحد التوأمين تُوفِّي بعد فترة مرضية، فقام الجراحون بفصله عن توأمه الحي بطريقة القصابين (الجزارين) ولكن لم يتحقق أملهم؛ إذ ما لبث أن لحق به الآخر.

التوأم بلازك

لتوأم ريتا وكريستينا

• الجراحة الذكية (١٦٨٩م)

وهذه جراحة ذكية لفصل توأم سيامي عام ١٦٨٩م وُلِد ملتصقًا عن طريق البطن بجزء من الجلد والكبد، ولما كان الاتصال بسيطًا؛ فقد فكر الجراح البارع جو هاينز فاتيو بطريقة ذكية لفصلهما، فاستخدم في محاولته حبلاً مطاطًا لربط منطقة الاتصال، وأخذ يشد على الرباط كل يومين حتى تليَّفت منطقة الاتصال، فانفصل التوأم نتيجة لذلك بسلام ونجاح، ولذلك تعدُّ هذه أول عملية فصل ناجحة في التاريخ.

وما زالت هذه الطريقة الذكية مستخدمة حتى الآن، ليس في فصل التوائم السيامية فحسب؛ وإنما في عمليات التاسور التشرجي المزمن بعد أن أثبتت ـ ولله الحمد ـ نجاحًا كبيرًا، وحلت محل كثير من عمليات التخدير ومشكلات عضلات الشرج وغيرها من المضاعفات.

ومن الغريب في هذه الحالة أن الجراح ـ الدكتور فاتيو ـ الذي أجرى عملية الفصل ـ لم يُفكِّر في توثيقها، فبقيت طيَّ النسيان إلى أن جاء المؤرخ كوننق فأعاد بعثها وتولى نشرها، وكان هذا مدعاة لأن تلتصق باسمه إلى يومنا هذا.

• أول عملية فصل لتوأم متصل بالرأس (١٩٥٧م)

لم يكن بالإمكان فصل التوأم الملتصق بالرأس إلا عام ١٩٥٧م حين نجح الجراح الفرنسي فورس في فصل توأم متصل بالرأس ليضع بذلك أول لبنة ارتكز عليها تطور العمليات الجراحية في هذا المجال.